ـرة» التعاطف

بالسياسة الخارجية الفرنسية، ولاسيما في ليبيا وسوريا والعلاقات مع دول الخليج. لم تكن هناك مساءلة اعلامية لقرارات الحكومة في الخارج باستثناء بعض الاصوات على مواقع الكترونية او في صحف مكتوبة. الجمهور سبق الإعلام احيانا فرفع مشجعو نادي «باريس سان جرمان» الشهير لافتة، خلال مباراة لكرة القدم، كتب عليها «قطر تمول باريس سان جرمان والارهاب»، كما خطا بعض السياسيين خطوة لجهة الدعوة لاعادة النظر بالعلاقة مع قطر المتهمة بتمويل الارهاب، منهم احد قادة حزب «التجمع من اجل حركة شعبية» اليميني برونو لومير. فتناولت بعض القنوات الدور القطري في دعم مجموعات اسلامية متشددة. برغم أن رئيس الوزراء مانويل فالس، كان أجرأ عندما كان وزيرا للداخلية، أو ربما زل لسانه وهو يشرح أسباب ارتفاع عدد المقاتلين الفرنسيين في سوريا، فقال لإذاعة أوروبا1 في يناير 2014: «لأنه بالإمكان الذهاب إلى سوريا بسهولة، والمعركة تبدو عادلة لأن القوى الكبرى تدين تصرفات بشار الأسد، وهناك أزمة لدى قسم من الشباب لدينا». موقف لم يتكرر، ليبقى كل شيء «لائقاً سياسيا».

ترك الإعلام الفرنسي خلال الفترة الماضية مجالا لأجهزة الأمن للتعاطي بعقل بارد مع الظاهرة. كانت السلطات تشعر بأن الوقت متاح أمامها بعيدا عن الضغط الإعلامي لتناقش مشاريع قوانين تتعلق بالإرهاب، وتفكر ملياً بالإجراءات الواجب اتخاذها. فجأة تغير كل شيء وفرض الهجوم الباريسي خطوات واجراءات عاجلة، لا تخلو من تجاوزات لمبادئ أساسية منها حرية التعبير. فخلال اسبوع واحد جرى توقيف 69 شخصا بتهمة «تمجيد الإرهاب»، وليس فقط الممثل الساخر ديودونيه، الذي كتب: «اشعر بأنني شارلي كوليبالي». اجراء ينذر بتجاوزات قضائية ويمثل «خطرا على حرية التعبير»، من وجهة نظر «منظمة العفو الدولية»، التي رأت أن «تمجيد الإرهاب يعتمد تعريفاً فضفاضا، وأن حرية التعبير يجب ألا تكون وقفاً على البعض، وان الوقت ليس لاجراءات تعتمد ردود الفعل والتأثر، بل اجراءات تأتي بعد تفكير بوسائل تحمي الحياة وتحترم حقوق الجميع». تحت عنوان الأمن، قرر عمدة مدينة فيلييه سور مارن تأجيل عرض فيلم «تومبوكتو» للمخرج الموريتاني عبد الرحمن سياساكو في احدى القاعات التابعة للبلدية، خوفاً من ردود فعل على فيلم يتناول مدينة تومبوكتو التي سقطت بيد الجهاديين. وجرى أيضا وقف عرض فيلم « l›apôtre المبشر» للمخرجة شين كارون الذي يروي قصة اعتناق فتاة مسلمة المسيحية، من قاعتي عرض في فرنسا. بإمكاننا تصور ردود الأفعال على قرارات من هذا النوع في ظروف مختلفة. الإعلام مر مرور الكرام عليها، كما لم يعط اهتماما كبيرا لقرار شرطة باريس منع تظاهرة مناهضة لأسلمة أوروبا، مستوحاة من حركة «بيغيدا» الألمانية. حركة توسعت لتضم عشرات الالاف من الألمان اسبوعيا، ووجدت المستشارة الألمانية نفسها مضطرة إلى التظاهر مع الجمعيات الأسلامية الألمانية ضدها، حرصا ربما على «السلم الأهلي»، لكن بالنتيجة وبعيدا عن المسايرة وبحداقتها المعهودة توجهت ميركل إلى المسلمين بالقول: «إن الإسلام جزء من ألمانيا، ولكن من الضروري الاجابة عن سؤال بشأن السبب وراء استخدام القتلة الدين الاسلامي في تبرير جرائمهم، وعلى علماء الإسلام أن يجيبوا عن هذا السؤال». تصريح، يضع ممثلي المسلمين، وخاصة في المانيا أمام مسؤولياتهم. لعله توجه سيتعزز أكثر في الدول الأوروبية.

* اسم مستعار لاعلامي عربي في باريس

كافٍ إذ إنه لا داعٍ للقلق على كيفية حسن استخدام تلك السلطة أو استغلالها، وهذا واقع قد لا تغفل السلطة المذكورة عن تطبيقه واستغلال التظاهرات الجماهيرية التي ستبادر بشوق إلى اعتبارها بمثابة تفويض.

فنأمل إذاً أن يكون الدعم كافياً أيضاً للاقتراح على بعض المحررين تمضية فترة وجيزة في الزنزانة ريثما يتعافون من حالة الثَمَل التي هم فيها ويواجهون الحقيقة المُرّة. ومن باب الحرص على البقاء بنفس مستوى الأحداث التاريخية. لا بل على مستوى المنحدر المميت والمُعيب الذي تسلكه المعلومات بتواصل . ولكي نكون أول من «يعلن عن التاريخ»، كان منطقياً أن نصف التظاهرة بـ«التاريخية» و«الحدث التاريخي». وإن كان مسموحاً لنا الاستهزاء بالوضع الراهن، يمكننا أقله القول بأن الحدث كان بالفعل تاريخياً والأول من نوعه بالنظر إلى عدد رجال الشرطة الذي فاق عدد منظمي الفعالية. ومع ذلك، لا ندري ما إذا كان وقع التظاهرات الضخمة التي شهدتها مدينة «كاربنتراس» وتظاهرات الأول من أيار 2002، حيث شهدنا تجمعات جماهيرية أصابت المعلقين السياسيين بالهلع. إلا أنه يمكننا الجزم بأن تلك التظاهرات لم تأتِ بأي نتاج على الصعيد السياسي. نأمل بشدة أن تفضي تظاهرات اليوم إلى نتائج مثمرة، ولكن لا يمكننا إلا أن نتساءل، من منطلق عام، عما إذا كان ثمة أي مفعول استبدالي بين نسبة الإجماع وفحواه السياسي الممكن. من الناحية البنيوية، بغض النظر عما تحمله المادة السياسية من صراعات، لا تميل الحشود المتظاهرة إلى أي اتجاه سياسي. أو بالأحرى، ذلك هو مفهوم الثورة، عدم الانتماء إلى أي حزب سياسي. فالحقيقة كما نراها اليوم لا تعكس مفهوم الثورة الصحيح...

وأخيراً، لا يسعنا إلا أن نتساءل عن حقيقة «الوحدة الوطنية» التي نحضنها بمعانيها كافة. فالمظهر العام يوحي بأن الموكب الباريسي متجانس تماماً من الناحية الاجتماعية؛ فهو حشد أبيض البشرة، حضاري، مثقف. إلا أن العدد الخام لا يشكل معياراً تمثيلياً دقيقاً، إذ يكفي أن تكون نسبة تحرك إحدى الفئات الشعبية الفرعية مرتفعة بصورة استثنائية لإحداث نتيجة مماثلة. إذاً، هل هي «وحدة وطنية»؟ أو «تظاهرات شعبية»؟ أو «فرنسا المعتصِمة»؟ حريّ بنا أن ننظر مجدداً إلى هذا الواقع والتأكد مما إذا كانت تلك الوسيلة للمطالبة بحل المشكلة من خلال تحفيز التظاهرات الجماهيرية، هي وسيلة ماكرة، تهدف على وجه خاص إلى إعادة طرح المشكلة أو إنكارها. على غرار الفئة الحاكمة التي تميل دوماً إلى اعتبار سماتها عمومية الطابع وأن كيانها في العالم الاجتماعي يستنزف كل التعابير التي قد تُقال عن ذلك العالم. لا نستبعد أن تكون الحشود الجماهيرية المشاركة في تظاهرات يوم أمس (2015/1/11) قد لمحت إلى أن الطبقة البورجوازية المثقفة تعيد التأمل بإمكانياتها الخاصة وتتخلى عن حالة الرضى التي اعتادتها من تلقاء ذاتها. ومع ذلك، لا يمكننا الجزم بأن ذلك المشهد العام قد يصنع «بلداً» أو «شعباً»، إذ ستتسنى لنا الفرصة قريباً لنتأكد بأنفسنا ونتذكر الوضع. يا لها من وسيلة عمياء للتبجح بأحداث التاريخ الفرضية والفرار حتماً من التاريخ الواقعي الذي يتم بعيداً عن أي استيهام وغالباً خلف ظهرنا. ولكن التاريخ الواقعي الذي ينطرح أمامنا تعيس المظهر. فإن كنا نأمل أن نتمكن من تكييف ذلك التاريخ والإقرار بالوضع الحقيقي وندبه، ينبغي التفكير إذاً بوسيلة للخروج من حال الغباوة وإعادة صنع السياسة، ولكن هذه المرة بحقٍ.

(ترجمة هنادي مزبودي عن «لوموند ديبلوماتيك»)

(نصّ من مداخلة في سهرة «الانشقاق من خلال الصمت!» من تنظيم مجلة فاكير في بورس دا ترافاي في باريس في 12 كانون الثاني 2015)

ريجيس دوبريه

لا تستبدلوا الأفكار بالعواطف

الفيلسوف والكاتب ريجيس دوبريه، الداعي إلى جمهورية ذات قيم راسخة، يحلل في ما يلي آثار تظاهرة 11 كانون الثاني في كل أرجاء فرنسا وارتداداتها المتمناة

ليس علينا أن نحني رؤوسنا امام الثقافات الاخرى (أ ف ب)

■ بماذا ألهمك التجمّع الكبير الذي حصل ذاك الأحد؟

لا يجوز أن نقاطع لحظة إجماع. فباريس تستحق القليل من التضحية، والجمهورية تستحق مسرحيةً جامعةً من قبل مسؤولينا الذين عرفوا كيف يحتوون العواطف الشعبية. ولكن دعونا لا نستبدل الأفكار بالعواطف، لقد تشبعنا كلّنا من الشعارات والكلمات الرنّانة، فالجمهورية أكثر من مسرحية كوميدية، هي ضرورة ونظام، وشجاعة.

■ لقد رددت شعارات الجمهورية: الحرية، والمساواة، والأخوة منذ مجزرة «شارلي». ما رأيك بذلك؟

لقد خفت في لحظة من اللحظات أن تنسينا الحرية المساواة والأخوة. أنا مسرور لأن الشعار الجمهوري المقدس عاد مكتملاً، على الرغم من كونه معقداً لا بل متناقضاً. الأخوة، نعم. كلّ البشر إخوة، لا وجود لمؤمنين وغير مؤمنين، أو مغضوب عليهم ومختارين. فحين نؤكّد أن كلّ البشر إخوة، نحن نذكّر بأنه لا يوجد أي امتياز يمنح لشخص ما عند ولادته بفضل قدرة خارقة. الحرية، بالطبع، ولكن في إطار القانون. فلطالما كانت حرية التعبير تخضع لإطار ما منذ إعلان حقوق الإنسان والمواطن. إذ ينصّ قانون 29 تموز 1881 على أن لكلّ مواطن الحقّ في كتابة وطباعة ما يشاء، شرط أن لا يسيء استخدام هذه الحرية بموجب الحالات المحددة في القانون. فالجمهورية هي دولة الحقوق واحترام القانون.

■ بعد هذه المجزرة وهذه الوحدة المعبّرة والمؤثّرة، علامَ يمكننا أن نبني المستقبل؟

نحن اليوم نعيش في وهم أن الإنسان هو أبو نفسه، وهذا لا يجدي نفعاً

تكمن المسألة الأساسية في أن نعرف ما إذا يمكن للحظة من الوحدة أن تتحوّل إلى ممارسة فعّالة. يمكننا أن نأمل العودة إلى السياسة من خلال تفوّق السياسة على الاقتصاد.

إن الحدث الكبير في الغرب هو التقدّم الذي حققه «الرقم» يرافقه «الشكل»، حيث يسود الحكم الديكتاتوري للأرقام مع الفوتوجينية (الملاءمة في التصوير). لقد بات يتعين على الاقتصاد أن يعود إلى موقعه كملحق، وعلينا أن نعيد اكتشاف الغايات النهائية.

نطلب من مسؤولينا أن يكفّوا عن التصرّف كمحاسبين لبروكسل (الاتحاد الأوروبي)، هدفهم الأسمى تخفيض العجز، والهدف الذي لا يقلّ سمواً هو الانتقال من السكك الحديد إلى الحافلات.

يمكننا أن نأمل أن يجدوا فرنسا كشخص وليس كشركة، نأمل ن يجدوا التاريخ، أي الذاكرة والأمل، وألا تشكّل الاستطلاعات البداية والنهاية في تحديد سلوكهم، ونأمل أن تجد السياسة كرامتها.

في فرنسا، السياسة ديانة علمانية منذ عام 1789، فإن انتهت هذه الديانة العلمانية، فإن الديانة المنزلة ستصبح هي السياسةً. لقد تمكنّا من تفادي ذلك بفضل تراثنا المسيحي وتقاليدنا العلمانية الجمهورية. ونحن نواجه خطر العودة إليها اليوم إن استمر فراغ الانتماء والفراغ الرمزي.

علينا أن ندرك أن التعليم لا يستهدف سوق العمل فحسب، ولكن يسهم في نقل المعرفة أيضاً.

■ كيف نتوصّل إلى مفهوم تأسيسي؟

يجب العودة إلى المبادئ من المدرسة حتى تعود مكاناً للتعليم وليس للنشاطات فقط. فلا يفرض على الطلاب أن يتأقلموا مع وضع المجتمع القائم ولكن أن يتعلّموا التفكير بأنفسهم.

فلكي يتعلّم الطالب كيف يتجاوز أساتذته، هو يحتاج إلى أساتذة، أساتذة يحظون بأجر مناسب وتحترم كراماتهم. فحين تكون قيمة الشخص بقدر ما يجنيه، تكون هذه المهمّة صعبة.

■ الأخوة، يبدو أن الجميع يضحي بهذه القيمة..

- لقد ألفت كتاباً عن هذا الموضوع، لحظة الأخوة. إن الإخوة عكس الأشقاء والبيولوجيا، هذه العلاقة تقوم على المعنى وليس على الدم، وتعني الاتحاد بالقلب وبالعقل.

لا يوجد إلا لحظات أخوّة قليلة تفرضها الشدّة أو الضعف أوالوهن. تعني الأخوّة التعرّف إلى أبوّة رمزية. نحن إخوة بالمسيح، إنها قيمة تتجاوزنا، لا يوجد إخوة بدون قدسية. نحن اليوم نعيش في وهم أن الإنسان هو أبو نفسه، وهذا لا يجدي نفعاً.

في تظاهرة 11 كانون الثاني، استعدنا الفخر، من خلال العالم والنشيد الوطني، من خلال التأكيد أنه يمكننا أن نكون فرنسيين وليس الصورة النمطية عن فرنسا، وأنه ليس علينا أن نحني رؤوسنا أمام الثقافات الأخرى. إن التراث الفرنسي يمرّ من الغال إلى وولينسكي، ومن لافروند إلى بيرنار ماريس. إنها الروحية الفرنسية.

■ كيف وصلنا إلى كلّ هذه المشتقات الاجتماعية من كلّ الأنواع وكلّ الملل وإلى هذا الفيض المفاجئ من العنف المتطرف؟

- لقد أبدلنا الجزيئة بالذرّات، ومن أجل إيجاد ما هو مشترك، علينا إيجاد الجزيئة. حين تتواجه الذرّات، ستندلع حرب الكلّ ضدّ الكلّ. والفكرة هنا في أن السعادة هي القيمة العليا. والسعادة هي الفرد. فوهم المعاناة الذاتية للفرد المعاصر لا تأخذه بعيداً.

■ ما هو التحدّي الرئيسي من اليوم وصاعداً؟

علينا استعادة الرمزية التي توحّد. إن الشيطان هو من يقسّم، فالمالية الرأسمالية شيطانية. تعني كلّ واحد لنفسه مثلما في حال غرق سفينة. يتعيّن إيجاد العامل الموحّد، ومن يقول موحّد يقول قدسيةً، ومن يقول قدسيةً لا يقول بالضرورة أدوات العبادة.

كان لرفاق الحرية أب، هو ديغول، وكان لهم مقدّس هي فرنسا. ما هي القدسية؟ إنها الأمور التي لا يتاجر بها، والتي لا يتفاوض عليها، هي تشدّ القطبين وتحوّل الجزء إلى كلّ. إن القدسية هي ما يتجاوز البشر، ما يمكن أن يوحدهم. ولكن يعود للبشر أن يختاروا ما الذي يتجاوزهم.

(ترجمة هنادي مزبودي عن «لاكروا»)